الحجاب بين حرية المرأة والاجتهادات الفقهية

«اسفري يا ابنة فهر» كانت هذه واحدة من الصرخات المدوية في عالم تتحكم به تقاليد محافظة حديدية قبل اكثر من ثمانين عاما اراد منها قائلها الشاعر الزهاوي ان تكون المرأة كما هي سافرة لاحجاب ولا قيود وكانت جزءا من دعوات تحرير المرأة التي دعا اليها الرصافي في العراق وقاسم امين في مصر فضلا عن دعوات لاحقة في اكثر من مكان في الوطن العربي .

اليوم مازالت الكثير من النساء يلا حقهن الحجاب اما مسايرة للوضع الصعب، او نزولا عند رغبة الاهل .

انطلاقا من هذا قمنا باستطلاع بين عدد من النساء ورجال الدين وناشطات في حقوق المرأة.

بغداد/ نورا خالد

تقول احدى الطالبات في كلية الاداب :

وضعت الحجاب لانني اريد السير في الشارع من دون خوف، كما انني اريد اكمال دراستي وبدون الحجاب لاستطيع فاكثر الطالبات هنا مضطرات لارتداء الحجاب خوفا على انفسهن من القتل او الاختطاف لذلك فان الحجاب يعطيني الشعور بالامان والراحة من اعين الرجال واكون قادرة على السير في الشارع من دون ان يؤذيني احد.

الخوف هو السبب الرئيسي وراء انتشار هذه الظاهرة وهي الحجاب حيث ان المرأة العراقية تشعر بالخوف اكثر من اي وقت اخر وترى في الحجاب افضل وسيلة لحماية نفسها. هذا ماقالته المدرسة (انتصار احمد) عن رأيها في انتشار مثل هذه الظاهرة.

اما الطالبة (ريم كاظم) وهي طالبة في الاعدادية فتقول:

ارتديت الحجاب من دون اي ضغط من افراد عائلتي فأنا مقتنعة تماما به فارتديته بملء ارادتي فأنا البسه لدوافع دينية ليس الا. ولكنني مع حرية الاختيار لمن تريد ارتداءه او عدم ارتدائه.

بينما تقول (حنان باسم) طالبة في كلية الصيدلة:

على الرغم من كل الظروف التي مرت بها المرأة العراقية خلال هذه الفترة والضغوط الكبيرة التي مارسها البعض عليها لأرغامها على ارتداء الحجاب لم استطع ارتداء الحجاب لانني غير مقتنعة بأرتدائه وانا لا اعمل شيئا الا عن اقتناع تام واعتقد ان اجبار المرأة على لبس الحجاب لن يضيف شيئا خاصة ونحن في بلد متحضر.

السيد ناصر عبد الرزاق مدرس تاريخ متقاعد سألناه عن رايه في الحجاب وكيفية توجيه بناته فقال:

طوال سنوات حياتي لم ارغم بناتي على ارتداء الحجاب، بل كنت اترك لهن الخيار وأشجعهن على ان يكونن متحضرات لايخضعن للتقاليد الاجتماعية البالية، وفي مرات كان احد اخوتي يتدخل فكنت لااسمح له بذلك لان التربية الصحيحة غير مرتبطة بالحجاب او اي شيء اخر وانما مرتبطة بالسلوكية الصحيحة التي تتعلمها الفتاة في بيتها، بهذه الطريقة كبرت بناتي ودرسن في الجامعات وتخرجن موظفات واحداهن طبيبة اسنان وحتى عندما تزوجنَ تركت لهن الخيار لان الحياة حياتهن وليست حياتي وانا ضد ارغام المرأة على ارتداء الحجاب لان الحياة تسير نحو التطور والتقدم ولا تتراجع للخلف ونحن لا نعيش في عصور حجرية لكي تكون المرأة تابعة لرغباتنا واعرافنا الاجتماعية التي تتراجع بنا خطوات الى الخلف .

الاعلامية (افراح القيسي) قالت :اعاني كثيرا خلال عملي الصحفي من الحجاب كوني لا ارتديه خصوصا في بعض مؤسسات الدولة ودوائرها التي اصبحت تغطي نساءها العاملات فيها بغطاء كبير (حجاب اجباري) ويحق لمن تعترض عليه ان تغادر الدائرة او يتولون هم امر نقلها كما حصل في احدى دوائر الدولة عندما ابعدت بعض الموظفات الى دوائر اخرى لعدم ارتدائهن الحجاب. اما بالنسبة لي فغالباً ما يعترض عملي بعض المتسائلين عن سبب عدم لبسي الحجاب وقد تتطور حينا الى عدم التعاون معي وحرماني من المواضيع والاخبار لكني اعتدت على مصاعب العمل الكثيرة وهذه المسالة هي احداها وشخصيا اعتبر موضوع حجاب المرأة والموظفة خصوصا، مسألة شخصية بحتة تشبه مانأكل ومانشرب والمفروض على الجميع احترام ذلك مادامت ازياؤنا لاتخدش الحياء العام، فهل ستكون قطعة القماش فوق الرأس بمثابة تقييم للمرأة متناسيا اخلاقها وعملها واومتها خلال مسيرة حياتها.

لتسليط الضوء اكثر التقينا بعض الناشطات في حقوق المرأة . السيدة كفاح عبد المجيد قالت:

بما ان العراق الجديد هو نظام ديمقراطي فالمستقبل ينذر بعدم بقاء الحجاب المفروض على المرأة في العراق خلال هذه الفترة ولكنني اعتبر ارتداء الحجاب في الوقت الحاضر هو ذكاء واسلوب دفاعي تستخدمه المرأة ضد جميع الضغوطات وشتى المضايقات التي تتعرض لها المرأة غير المحجبة وانا مع حرية المرأة وحقها في الاختيار واطالب المرأة بعدم التعجل في هذه المسألة فمع الوقت واستقرار الوضع الامني تزول هذه الظاهرة.

السيدة امال كاشف الغطاء قالت: يقصد بالحجاب هو ستر المرأة لبدنها وزينتها وهذا لا يعني حجب المرأة عن الحياة العامة كما يتوهم البعض وعدم المشاركة فيها وتفرغها للحمل والولادة والعمل في البيت على الرغم من اهمية العمل المنزلي في بناء المجتمع وانما القصد حمايتها والحفاظ على حياتها وتغيير النظرة اليها كأداة لتسلية الرجل، فعلى مر التاريخ دأب الرجل في الرواية والشعر بالنظر الى المرأة الى انها لاتملك غير فتنتها واغرائها وعليها ان تبرز هذه الفتنة ' ولكن في الحجاب تبرز المرأة جوانب والابداع القدرات والذكاء دون الاعتماد على جمالها وفتنتها وعندها تتغير نظرة الرجل لها بأنها ليست اداة تسلية ومتعة بل اداة بناء وتطوير . فالحجاب صيانة للمرأة وليس ذريعة لانتهاك حقوقها فأنا مع ارتداء الحجاب ولكن بدون اجبار او فرض بل يجب ان ترتدي المرأة الحجاب وهي مقتنعة تماما بذلك. فنحن نحتاج الى اكثر من الحجاب لصيانة المرأة وهو حقها في تسنم المراكز السياسية وان تكون صاحبة القرار وان تحتل موقع القرار.

لذلك فالحجاب له جوانب متعددة اجتماعية وانسانية وانه ليس فقط جلباباً تغطي به المرأة جسدها وان الحجاب هو ابراز لهوية المرأة المسلمة والذي بدونه قد تتعرض المرأة لكثير من المضايقات الاخلاقية.

بينما علقت فوزية العطية (رئيسة قسم الاجتماع في كلية الاداب) عن هذا الموضوع قائلة:

الحقيقة ان المراة العراقية تركت الحجاب منذ ثلاثينيات القرن الماضي ولكن بسبب الحروب التي حدثت في العراق واكثر الرجال ذهبوا لخوض الحروب أدت بالتالي الى شعور المرأة بضرورة حماية نفسها وشعرت بأن ارتداء الحجاب سيوفر لها تلك الحماية ولكن بعد احداث عام ٢٠٠٣ توخينا ان تشعر المرأة بالحرية ولكن حدث العكس فازدادت هذه الظاهرة بل وفرضت على المراة . فانا اعتبر الحجاب حجباً للمرأة وفرض قيود على تصرفاتها وسلوكها وحتى على علاقاتها الاجتماعية فالحجاب حجاب النفس وليس باللباس الذي يفرض على المراة، فبعد الاحداث بدلا من ان تنتقل المدنية من بغداد الى ما يجاورها من مناطق ريفية للاسف حصل العكس وانتقلت العادات الاجتماعية القديمة والبالية الى بغداد ومنها ظاهرة الحجاب ولكن نتمنى ان تكون هذه الظاهرة وقتية وينظر الى المراة على انها انسانة قادرة على عمل أي شيئا وبانها نصف المجتمع من دون ان ينظر اليها كامراة تثير غرائز الرجل.

تقول (هناء محمد) وهي ناشطة بحقوق المرأة:

اذا اجبرنا المرأة على لبس الحجاب نكون قد جنينا على حريتها الشخصية، فلا اكراه في الدين، وهذه مسألة شخصية، وانا لا اطالب بألغاء الحجاب لمن تريده انما يجب ترك الحرية والخيار للمرأة وحسب قناعتها وهذا جزء من الديمقراطية التي نتحدث عنها في عراق مابعد ٢٠٠٣ عراق الحرية والديمقراطية والتي لايمكن ان تتحقق في ظل تعرض النساء الى مصادرة حقوقهن الشخصية، فمسألة ارتداء الحجاب من عدمه ليست سوى مسألة شخصية تعود الى المرأة وحقها في الاختيار ولا يمكن لأحد ان يجبرها على عمل شيء غير مقتنعة او راضية به فأنا اطالب بحرية الاختيار للمرأة في هذه المسألة بالذات، فأصبحت هناك قلة من النساء اللاتي يتجرأن على الخروج من البيت دون حجاب خوفا من تعرضهن للمضايقات او حتى تصل الى الاختطاف والقتل لا لذنب ارتكبته سوى الخروج بدون حجاب .

وعن تأريخ الحجاب وهل ان الاسلام اول من طالب المرأة بالحجاب اجابنا الاستاذ (و.ع) استاذ التاريخ في الجامعة الاسلامية :

لقد عرف العرب قبل الاسلام الحجاب فكانت البنت عندهم اذا بلغت سن الزواج تعرض على القبيلة ليرغب في نكاحها من اراد الزواج بها ثم تحجب ولا تكشف عن وجهها الا عند نزول المصيبة . واتخذ الحجاب صورا مختلفة يضيق ويتسع حسب عادات وتقاليد القبائل العربية في الجزيرة العربية وكثيرا ما تطرق الشعراء الى ذلك في اشعارهم. ومن هذا يتبين ان العرب قبل الاسلام كانوا يفرضون الحجاب على بناتهم ، وعندما جاء الاسلام اقرّ ما كان متعارفا عليه من فائدة اجتماعية ومحاسن خلقية.

ولم يقتصر الحجاب على العرب قبل الاسلام، فلو تعمقنا في هذه المسألة لرأيناها عند اليونان في بادئ الامر، ومن اليونان انتقلت الى بقية المجتمعات فكانت النساء يستعملن الخمار اذا خرجنَ فيخفين وجوههن وكانت النساء تستعمله في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر حين اصبحت النساء يخففن منه. كما ورد ايضا في الانجيل –سفر التكوين– الاية (٦٠) من الاصحاح الرابع عشر « وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا ' فقال العبد هو سيدي ' فأخذت البرقع وتغطت « . وهذا مانشاهده عند الراهبات في كنائس المسيح وهن يتحجبنَ ويسترنَ اجسادهن من الاجانب.

وكذلك ظهر عند اليهود وبلاد فارس والهند، لذلك فالحجاب ليس بدعة ابتدعها الاسلام، بل هو قانون كان موجوداً عند كل الشعوب والاديان.

وللشعراء رأي في حجاب المرأة، فقد قال الشاعر جميل صدقي الزهاوي وهو من دعاة تحرير المرأة :

اسفري فالحجاب يابنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم

كل شيء الى التجدد ماض فلماذا يقر هذا القديم

اسفري فالسفور للناس صبح زاهر

والحجاب ليل بهيم

ويقول ايضا:

مزقي ياابنة العراق الحجابا

اسفري فالحياة تبغي انقلابا

مزقيه واحزميه بلا ريث

فقد كان حارسا كذابا

اما حافظ ابراهيم فقد كان له رأي اخر حين قال :

انا لا اقول دعوا النساء سوافرا

بين الرجال يجلنَ في الاسواق

– يدرجنَ حيث اردن لا من وازع

يحذرنَ رقبته ولا من واق

يفعلنَ افعال الرجال نواهيا عن

واجبات نواعس الاحداق – في

دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون

رب السيف والمرزاق

كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في

الحجب والتضييق والارهاق –

فوسطوا في الحالتين وانصفوا

فالشر في التقييد والاطلاق.

ولمعرفة رأي الدين الشرعي في مسألة الحجاب كان لقاؤنا الاول مع الشيخ (د.ابراهيم الصايل) مساعد رئيس الجامعة الاسلامية للشؤون العلمية / بغداد حيث قال:

الحجاب فريضة شرعية فرضها الاسلام على الفتاة عندما تبلغ سن التكليف ويختلف سن التكليف من فتاة الى اخرى وهو من سن التاسعة حتى سن الخامسة عشرة واللباس الشرعي للفتاة هو الذي لايصف ولا يشف ما تحته مهما كان وعلى اية صورة بشرط ان لا يظهر منها سوى كفيها ووجهها فالحجاب واجب في الاسلام لما جاء في القران الكريم من سورة الاحزاب ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)). وهناك اختلاف بين الفقهاء على اللباس الشرعي ولكن ارجح الوقف الشيعي فقد اجابنا عن هذه المسالة قائلا:

هناك تكاليف اوجبتها الشريعةالاسلامية على كل مكلف، وسن التكليف للمراة هو ان تكمل عامها التاسع، فاذا بلغت ذلك عليها ان تلتزم بالاحكام الشرعية ومنها الحجاب، وهناك ايات في القران الكريم تدل على مشروعية الحجاب كما جاء في سورة الاحزاب ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) وفي سورة النور ((وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ)) والخمار هو ما تغطي رأسها وينسدل على صدرها واللباس الشرعي هو غطاء الجسم ويجب ان يكون لا لاصقا فيصف ولا شفافا فيشف ويجوز ان تظهر وجهها وكفيها

والحجاب كحكم شرعي واجب كالصلاة والتي لاتلتزم به اثمة مثلها مثل تارك الصلاة وهذه المسالة تعتمد على اقناع الفتاة وتعريفها بهذا الحكم منذ الطفولة وتثقيفها على عاداتنا وتقاليدنا والتزاماتنا وهذا هو معنى الحرية فان مسالة الحجاب لا تعني ان تحتجب المراة عن المجتمع بل المطلوب منها ان تساهم في بناء المجتمع وتدخل العملية السياسية والتربوية فيجب ان لا يفهم الحجاب على انه ابعاد المراة عن حقها في العمل بل الدخول الى مختلف مجالات الحياة. السيد اياد جمال الدين (عضو في مجلس النواب ورجل دين) قال لا يجوز فرض الدين والافكار والملابس بالقوة والناس احرار فيما يلبسون. تقول الاية الكريمة ((من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). لذلك يعتبر فرض الحجاب فرضا امراً غير مقبول ومنافياً لمبادئ الدين وحرية الناس

انواع الحجاب

التنوع في الحجاب يرجع الى تنوع البيئات الاجتماعية والى التفاوت في مستوى الفقر والغنى. ففي الخليج ترتدي المراة المحجبة العباءة والشال المكون من قطعة قماش بحجم متر مربع تطوى على شكل مثلث وتثبت على الرأس بدبوس عند العنق وهناك حجاب الرأس المكون من قطعتين ويعرف بحجاب الاميرة وغالبا ما ترتديه المحجبات لسهولة ارتدائه كما يوفر لها طيفا واسعا من الالوان تختار منه ما يناسب ذوقها وموازنتها وترتديه المحجبات مع الملابس الاعتيادية (التنانير والقمصان والبنطلون

وهناك الجلباب الذي يغطي الجسم كاملا مع ارتداء غطاء للرأس وكذلك النقاب الذي يشبه الى حد ما الجلباب الا انه اقل طولا مع اختلاف غطاء الرأس الذي يغطي الوجه والرأس كاملا ولا تظهر منه سوى العينين وتقتصر الوانه على الابيض والاسود. ترتدي النساء كبيرات السن في جنوب العراق (الشيلة) بينما في الشمال ترتدي المراة غطاء الراس الملون ليتماشى مع الزي الكردي الملون وهذا يدل على ان طبيعة الزي الذي ترتديه المرأة له علاقة بالتقاليد المجتمعية اكثر من علاقته بالدين.

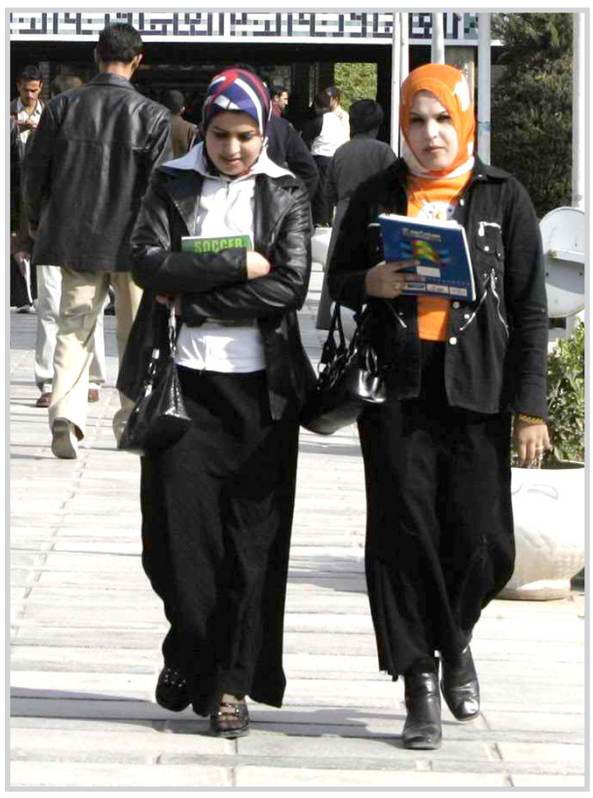

كفاح عبد المجيد «ناشطة في حقوق المراة»
اعتبر ارتداء الحجاب في الوقت الحاضر هو ذكاء واسلوب دفاعي تستخدمه المراة ضد جميع الضغوطات وشتى المضايقات التي تتعرض لها المرأة غير المحجبة وانا مع حرية المرأة وحقها في الاختيار.

الشيخ الدكتور ابراهيم الصايل "مساعد رئيس الجامعة الاسلامية للشؤون العلمية"
الذي يدخل في الدين الاسلامي يجب ان يلتزم بكل ما جاء فيه من تعاليم ولا يجبر الفتاة على لبس الحجاب سوى ولي امرها او سلطان الدولة اي رئيس الدولة

الشيخ الدكتور "علي عبدالله الخطيب" نائب رئيس ديوان الوقف الشيعي
مسألة الحجاب لا تعني ان تحتجب المراة عن المجتمع، بل المطلوب منها ان تساهم في بناء المجتمع وتدخل العملية السياسية والتربوية فيجب ان لايفهم الحجاب على انه ابعاد المراة عن حقها في العمل، بل الدخول الى مختلف مجالات الحياة

السيد اياد «جمال الدين» عضو مجلس النواب و احد رجال الدين
لايجوز فرض الدين والافكار والملابس بالقوة والناس احرار فيما يلبسون .